فإذا سراجا وجهه يزهران، كأنهما الفرقدان، فابتهجت
بسلامة بصره، وعجبت من غرائب سيره، ولم يلفني قرار
ولا أقنعني اصطبار، حتى سألته ما دعاه إلى التعامي
مع سيره في المهامي، وجوبه الموامي، وإيغاله في
المرامي، فتظاهر باللكنة، وتشاغل باللهنة، حتى إذا
قضى وطره، أتأر إلي نظره، وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال انهض إلى المخدع، فأتني بغسول يروق الطرف، وينقي
الكف، وينعم البشرة، ويعطر النكهة، ويشد اللثة، ويقوي
المعدة، وليكن نظيف الظرف، أرج العرف، فتي الدق،
ناعم السحق، يحسبه اللامس ذرورا، ويخاله الناشق
كافورا، واقرن به خلالة نقية الأصل، محبوبة الوصل،
أنيقة الشكل، مدعاة إلى الأكل، لها نحافة الصب، وصقالة
القضب، وآلة الحرب، وليونة الغصن الرطب. قال
فنهضت كما أمر، نادرا عنه الغمر، ولم أهم أن أقصر آنه

أن يخرج باه خالي المخرج، وما تهنئت أنه سخر من الرسول
في استدعاء الخلالة والغسول، ولما عرف بالملتمس
في أقرب من رجع النفس، وجدت الجو قد خلا، والشيخ
والشيخة قد أجفلا، فاستشطت من مكره غضبا، وأوغلت
في إثره طلبا، فكان كمن غمر في الماء، أو عرج به
إلى عنان السماء

المقامة الثامنة

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب
الزمان، أن تقدم خصمان، إلى قاضي معرة النعمان، أحدهما
قد ذهب منه الأطيبان، والآخر كأنه قضيب البان،
فقال الشيخ أيد الله القاضي، كما أيد به المتقاضي، إنه
كانت لي مملوكة، رشيقة القد، أسيلة الخد، صبور على
الكد، تخب أحيانا كالنهد، وترقد أحيانا في المهد،
وتجد في تموز مس البرد، ذات عقل وعنان، وحد وسنان،
وكف ببنان، وفم بلا أسنان، تلدغ بلسان نضناض، وترفل

Copyright © King Saud University